التعلّم من أجل إحداث فارق

المدرسة باعتبارها مجتمعًا قائمًا على الإبداع

تعجز **النظم التربوية** عن تلبية احتياجات الأعداد المتزايدة من المتعلمين في الوقت الراهن نظرًا لأنها تخفق في إعدادهم على النحو الأمثل لمواجهة التحديات الماثلة في عالم يموج بالاضطرابات والتقلبات؛ حيث يتعين عليهم أن يبحثوا عن حلول لهذه التحديات بالتعاون والتكاتف مع أناس آخرين. واستقاءً من خبرات وتجارب مجموعة من أكثر المنظمات والمؤسسات ابتكارًا في العالم، ومن بينها شركة بيكسار ونادي برشلونة لكرة القدم، يرسي المؤلف دعائم رؤيته للمدرسة باعتبارها مكانًا يقصده الطلاب للاستكشاف والإبداع والعمل والتعلم معًا داخل مجتمع خلّاق يوفر مناخًا إبداعيًّا. ومن ثمّ، يتعين أن تجعل المدرسة من نفسها ذلك المكان الذي يحظى فيه المتعلمون بفرصة اكتشاف شغفهم والسعي لتحقيق أهدافهم، وتعمل بوصفها مصدر إلهام يحفّز عمليات التعلم التعاوني النشط ويصقل مهارات حل المشكلات.

تشارلز ليدبيتر

تشارلز ليدبيتر، زميل مؤسسة "نيستا" للابتكار ورئيس صندوق "Nominet Trust" الائتماني ومؤسسة "Apps for Good" للتطبيقات والبرمجيات التعليمية المحمولة. جاب ليدبيتر مختلف أقطار العالم متحدثًا عن الابتكار والإبداع وداعمًا لتفعيلهما في مؤسسات القطاعين العام والخاص، كما ألّف العديد من الأعمال الأكثر مبيعًا على الصعيد الدولي، وهو مؤلف كتاب وايز الأول الذي صدر بعنوان

(Innovation in Education: Lessons from Pioneers around the World) الابتكار في التعليم: دروس من الرواد حول العالم".

world innovation summit for education
مؤتمر القمة العالمي للابتكار في التعليم

an initiative of مؤسسة قطر Qatar Foundation

التعلّم من أجل إحداث فارق

المدرسة باعتبارها مجتمعًا قائمًا على الإبداع

تشارلز ليدبيتر

ملخص تنفيذي

يجب أن يكون التعليم رافدًا للشباب يزوّدهم بالأدوات التي تمكّنهم من رسم ملامح مستقبلٍ ينعمون فيه بحياة أكثر نجاحًا؛ حياةٌ تخضع لشروطهم ويسودها الانسجام بينهم.

هم في حاجةٍ إلى اكتساب الثقة والقدرات التي تؤهلهم لصُنعِ عالمهم معًا، رغم القيود الشديدة التي تُحدّ من المصادر المتاحة وتخفض سقف الطموحات وتقلل فرص التعاون ورغم الاضطراب المؤسّسي السائد. إنهم في حاجة لتعليم يُحسِن إعدادهم حتى يصبحوا قادةً للتغيير تجمعهم روح التعاون لا أن يكونوا ضحايا للتغيير تبعثرهم رياح الفُرقة؛ تعليمٌ يمكّنهم من دفع الإحباط بالإبداع والابتكار.

وللأسف، يعجز نظام التعليم السائد حاليًّا في إعداد الطلاب لصُنعِ هذا العالم، بل إنه يسبب للكثير منهم إحباطًا بسبب المنهج التربويّ المتّبع. فكم من أطفالٍ يلتحقون بالمدارس وهم محمّلين بآمال عريضةٍ، ويغادرونها وقد تحطّمت تلك الآمال بعد قضائهم لأعوام دراسية عديدة لم يستفيدوا فيها إلا قدرًا يسيرًا من المعرفة. وهكذا تضيع العديد من المواهب إهمالًا وعبثًا، حتى باتت المدارس مصدرًا يصيب الكثير من الطلاب بالملل، فتراهم فيها أجسادًا حاضرة وعقولًا غائبة.

ففي المدارس، يتعلّم الطلاب التخلّي عن شغفهم بالأشياء التي تُشعِل حماسهم، ويتعلمون في المقابل ما يضمن لهم النجاح في المدرسة فقط. ليس ثمة خطأ في التفاني أو الامتثال للتعليمات في العمل؛ لكن ذلك وحده لا يصنع فردًا يمتلك إصرارًا حقيقيًّا أو مثابرةً أو عزيمةً، وكلها صفات لا بد أن يتحلّى بها من يرغب أن يعيش بعالمٍ ستكون فيه القدرة على تخطّي العقبات المجهولة والنهوض من الكبوات من مقومات الاستمرار في الحياة.

وحتى يكون المنهج التعليميّ صحيحًا فإنه يجب أن يمكّن الطلاب من الآتي:

- اكتشاف الفرص ومواجهة التحديات بما تنطوي عليه من إثارة وصعوبة دون إلزامهم مسبقًا بطريقة الحل الواحد.
- فك ألغاز الأسئلة الغامضة التي ليس لها طريقة حل واحدةٍ واضحةٍ، بل قد يُتوصّل لحلها بطرق عدة.
- التعاون مع غيرهم لإيجاد حلول يحتاج التوصّل إليها أفرادًا يتمتعون بمهارات اجتماعية وعاطفية وقدرات ملموسة من أجل أن يكون لتلك الحلول مردودًا إيجابيًّا على مستوى الجهد الجماعي المشترك.

- تقديم شيء جديد عند محاولاتهم للتغلب على هذه التحديات، سواء كان هذا الشيء أسلوبًا جديدًا أو مسرحيةً أو قطعة موسيقية أو حُجةً، تصنع فارقًا في حياتهم وفي علاقاتهم مع الآخرين ومع مجتمعهم الذين يمثّلون جزءًا منه.
- الشعور بالحماس والتمكّن والإحساس بالمسؤولية التي تنبع من مهمتهم باعتبارهم قادةً للتغيير.
- اكتساب الثقة لإطلاق إبداعهم عند العمل على مهمة ما، حتى لو كانت غامضة لهم وغير ملمين بجميع تفاصيلها مسبقًا.
- التحلّي بسمات شخصية على رأسها الإصرار والمثابرة والعزيمة للتغلّب على الكم الهائل من العوائق التي ستعترض طريقهم.

يقينًا، لن يأتينا المستقبل ما لم نصنعه نحن بأيدينا. ومن ثمّ، يجب أن يزوّدنا التعليم والتعلّم بالأدوات اللازمة لأداء دور في هذه المهمة المتمثلة في استكشاف آفاق المستقبل، وهي مهمة تتكشف ملامحها تدريجيًّا ويلزم النجاح فيها توافر عنصري التعاون والإبداع.

ويجب أن تُصاغ الرؤية التعليمية على نحو يسهم في ظهور هذا النوع من الابتكار والإبداع. فالابتكار ينبع في الأساس من التعاون القائم على الإبداع – وغالبًا ما يستغرق فترة طويلة – بين الأشخاص ذوي المعارف المختلفة والمواهب المتعددة، ممن تجمعهم رسالة مشتركة وهدف واحد. وأهم أسباب استدامة الابتكار هو وجود مجتمع خلّاق مدفوع بخدمة قضية محددة. فهذا هو سر نجاح المدن العظمى والشركات الكبرى والجامعات المرموقة والحركات الاجتماعية المؤثّرة.

فالمجتمع الذي ينتشر فيه الابتكار على نطاق واسع، تجد فيه التعليم قادرًا على إعداد الطلاب لأداء أدوار في هذه المجتمعات الإبداعية، كما كان قادرًا على إعداد الناس قديمًا لأداء دورٍ في المؤسسات الكبرى الهرمية. ويجب أن تمنح المدارس للشباب تجاربَ تكوينية وتحفيزية يدركون خلالها معنى أن تكون جزءًا من مجتمع خلّاق يخدم قضيةً ما، ويتعرفون فيها كيف يتخذون من الابتكار وحل المشكلات عبر التعاون مهنةً لهم.

كما يجب أن تكون **المدارس** مجتمعًا خلّاقًا يخدم قضيةً محددةً؛ ومكانًا يرتاده الطلاب من أجل الآتي:

- استكشاف وابتكار وصنع أشياء جديدة وتجربتها، والتعلّم من أخطائهم والنهوض من كبواتهم.
- تعلّم عادات ومهارات الاعتماد على الذات – القائم على التعاون والإبداع – باعتبارهم جزءًا من المجتمع.
- إيجاد أكثر الأشياء سعادةً لهم في الحياة، واكتشاف شغفهم، وتحديد هدفهم والأمور التي تعنيهم بالفعل والأشياء التي يرغبون في زيادة معرفتهم بشأنها.

كما يحتاج **المعلمون وصنّاع السياسات وأولياء الأمور** إلى توحيد جهودهم للمساعدة في وضع رؤية المدارس والموضوعات والمناهج الدراسية وأطر عمل التقييم التي تتسم بالآتي:

- تشجّع الأطفال على تولي زمام المبادرة بدلًا من الانتظار امتثالًا للتعليمات.

- تعليم الأطفال عدم الاكتفاء بتقديم الإجابة الصحية في الوقت المناسب، بل حاجتهم أيضًا للتحلّي بالقدرة على طرح أسئلة شائقة تتعدد طرق حلها.
- اعتماد التعليم النظري والعملي داخل قاعات الفصل الدراسي وخارجها، حيث العالم الحقيقي والتعاون في تنفيذ المهام جنبًا إلى جنب مع كتابة الأوراق البحثية وعقد الاختبارات.
- اختبار قدرات الأطفال، وتوسيع آفاقهم، ووضع التحديات أمامهم بطريقة تبني شخصياتهم وتدعم اعتمادهم على أنفسهم ومثابرتهم.
- تقديم فرصٍ كافية للأطفال يتعلمون من خلالها كيفية إدارة أمورهم بشكل جماعي عند العمل على حل مهام محددة ويجمعهم فيها هدف مشترك.
- تحفيز الرغبة لدى الطلاب وتطوير قدراتهم وثقتهم ليكونوا من أصحاب حل المشكلات، كبيرةً كانت أو صغيرة.
- تحقيق الطلاب لإنجاز أو مساهمة ناجحة – تصميمًا وتنفيذًا – لا ترتبط بدرجاتهم الأكاديمية في الامتحانات، يمكن أن تخلّدها ذاكرتهم عندما يخرجون للعمل في العالم الحقيقي.
- منح الطلاب شعورًا قويًّا بمكانتهم وبما يطمحون إلى تحقيقه بهدف توفير بيئة ينمو فيها أفراد لديهم هدف محدد.

ويتمثل دور **المعلمين** هنا في وضع طرق تدريس يكون فيها التعليم مبنيًّا على التعاون وحل المشكلات. أما **قادة المدارس** فدورهم يشمل التعامل مع المدرسة باعتبارها مجتمعًا يتعلم فيه الأطفال العادات والقيم التي تعزّز لديهم الاعتماد على الذات بشكل تعاوني ومبدع. وبالنسبة **للسياسين وصناع القرار** فيعني لهم ذلك تصميم أطر عمل لمناهج وتقييمات ونظامٍ للمساءلة لا تقتصر فائدته على تحسين الدرجات الأكاديمية للطلاب في الامتحانات فحسب، بل يرتقي كذلك بقدرات الطلاب وصفاتهم الشخصية التي سيحتاجون إليها بالفعل عند الخروج للعالم الحقيقي.

لا بد من مراجعة الهدف من وجود **التعليم**؛ فينبغي أن يكون للتعليم هدف أرقى من مجرد تحصيل درجات جيّدة، بل ينبغي أن يكون التعليم مقنعًا للآخرين على نحو يدفعهم للاستثمار فيه عاطفيًّا وليس ماليًّا فقط، عندما يرونه قادرًا على بنائه للشخصية ومساعدة الأفراد في أن ينعموا بحياة أكثر نجاحًا. لا بد من وجود الجرأة التي نسمو من خلالها بالتعليم، لا أن نحصره في مجرد ورقة يتسلمها الطلاب عند إتمامهم له.